طبيعة المغرب القديم

تنحصر الرقعة الجغرافية للمغرب القديم من الناحية الشرقية ما بين واحات الغربية لمصر القديمة أي غرب وادي النيل و الة غاية السواحل الغربية للمحيط الأطلسي غربا. و من السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط شمالا و الى غاية الاطلس الصحراوي جنوبا.

و تتشكل هذه الرقعة الجغرافية من تضاريس متباينة نسبة كبيرة منها تتالف من مرتفعات جبلية تتخللها سهول ضيقة و تمتد هذه السلاسل الجبلية في اتجاه عرضي من الشرق الى الغرب.

كما تنقسم السهول الى ثلاث أصناف موزعة كما يلي:

-ينتشر الصنف الأول في المناطق الساحلية المتاخمة للبحر و يتميز بالخصوبة و عدم الانتظام في الانتشار بسبب تخلل الكتل الجبلية

-الصنف الثاني عبارة عن سهول داخلية تتوسط الكتل الجبلية و تتميز هي الأخرى بعدم الانتظام في الانتشار بالإضافة الى كونها اقل خصوبة من السهل الساحلي

-الصنف الثالث من السهول المرتفعة تمتد ما بين الاطلس الصحراوي و الاطلس التلي في الجزائر و هي عبارة عن سهول سهبية اغلبها مراعي

و قد نتج عن هذا التباين في السطح اختلاف في الأنماط المعيشية لمجتمعات المغرب القديم حيث يمكن ملاحظة وجود المزارعين المستقرين في المناطق الساحلية و الذين استقروا في هذه الأراضي بغرض الفلاحة و تربية الحيوانات و صنف ثاني تمثل في نمط الرعي المتنقلين بحثا عن الكلا.

اما عن مناخ المغرب القديم فيغلب عليه طابع متوسطي الرطب و المناخ الصخراوي الجاف اذ تعتبر هذه الرقعة الجغرافية من العالم جهة يتلاقى فيها هذين المناخين. و من المعروف عن المغرب القديم ان في فترات ماقبل التاريخ كان يعج بالحياة في حقب متواترة و عرف اشكال مناخات من الرطب الى الجاف و احسن الدلائل على ذلك الرسومات الصخرية الصحراوية التي تكثر في شمال افريقيا و هي تمثل لفترات مناخية رطبة و خصبة بوجود في مناطق هي الان صحراوية كاشكال الفيلة و فرس النهر و الثور العتيق و صور الكباش المتوحشة كما نجد مشاهد للحظات الصيد و الرعي و مشاهد لانماط اجتماعية و ثقافية.

تاريخ الانسان المغاربي

يعود وجود الانسان في المغرب القديم الى حقب ما قبل التاريخي بحيث تشير الاثار الى معرفة المنطقة للإنسان الماهر في موقع تيغنيف (معسكر) و انتشار الانسان العاقل المعروف باسم مشتى العربي الذي أسس حضارة حجرية ذات خصائص محلية.

اما من الناحية النصية فقد اشارت النصوص المصرية (البرديات) التي نعتبرها كمصدر نصي هام جدا في معرفة أصل الصيغة الاصطلاحية لاسم – الليبي – و التي تشتهر بها بعض المواقع الأثرية المصرية مثل معبد – الكرنك – في عهد الملك – ستي الأول (الأسرة XIX) أين نجد قائمة اسمية للشعوب التي هزمتها الجيوش المصرية، فخلدتها ومجد ملوكها هذه الانتصارات على واجهات أعمدت – الكرنك -.

و من بين رموز الكتابة الهيروغليفية التي تشير إلى الليبيين هناك رمز – العصا المعقوفة - كما تتضح في الصلاية المصرية ذات الوجهين المسماة – بالمدن أو الغنائم الليبية - و التي تعود إلى عهد ما قبل الأسرات، فالعصا المعقوفة الموجودة في أسفل و أقصى يمين الواجهة التي تحمل مشاهد متسلسلة (من الأسفل إلى الأعلى) **(12)** من أنواع الأشجار ثم تليها مشاهد لمجموعة من الضأنيات (الغنم)، ثم مجموعة أخرى من الحمير و أخيرا مجموعة من البقريات ، نجده مغروسا في الرمل وهو يرمز لشعب – التهانو –**(13)**، هذا الرمز هو شائع في مشاهد النقوش الصخرية لمواقع الأطلس الصحراوي التي تمثل إحدى الرموز الكثيرة لأدوات الصيد التي تكون عادة مجاورة لمشاهد كبرى حيوانات المرحلة الطبيعية**(14)** و هي أيضا أثار لطقوس الصيد الدينية التي نجدها راسخة في القرن الماضي عند شعب – البوشمان –**(15)** و التي رسموها على الجدران الصخرية .

و عن حقيقة انتماء الشعب – التهانو – الى العائلة الكبيرة للإنسان الليبي، فان المصادر المصرية تتكلم عن وجود أربعة مجموعات من هذه القبائل حيث تنقسم إلى الشرقية موزعة عبر الساحل الليبي و هي ثلاثة مجموعات، ابتداء من غرب – الدلتا -: التهانو، الريبو آو الليبو ثم الميشاوش ، أما الأراضي الواقعة طول نهر – النيل – فتتواجد فيها قبيلة التماهو**(16)**.

كما يخبرنا نص البردي – انستازيا I–**(17)** عن تشكيلة الجيش الذي صخر لاسترداد الأمن بمقاطعة – ارونا-، حيث يتألف من : الشردانه – قهاقه – ميشاوشه و الزنوج و هذا النص البردي اذا ما اعتمدنا على مقاربات – شاباس – يعود إلى فترة - راعمسيس II – أو ابنه – مرنبتاح -، يظهر أهمية الإنسان الليبي في النظام العسكري الفرعوني و هذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة معرفة المصريين لخصوصيات الليبيين من جهة و من جهة أخرى و لأنهما يتجاوران و يتقاسمان حيز جغرافي مهم، مثل أهمية نهر النيل في المنطقة ذات الجفاف الشديد.

إذن واستنادا إلى الحوليات المصرية، صنف المؤرخون الإغريق و على رأسهم – هيرودوت – في كتابه التواريخ، الجزء الرابع، القبائل الليبية إلى الشرقيين و الغربيين، كما أضاف في تقسيمه عنصر النمط ألمعاشي لهؤلاء، فميز الليبيون المستقرون و الرعاة.

و ما يلفت الانتباه هو إذا ما نظرنا إلى التوزيع الجغرافي لهؤلاء الليبيين، يتضح لنا جليا على أن المنطقة في العهد الروماني هو مكان انتشار – الجيتول - في الجزء الجنوبي لليبيا، خاصة المناطق الواقعة خارج – الليمس – و السيطرة الرومانية، أما المناطق الشمالية و الهضاب فهي موطن – النوميد – من الشرق إلى الغرب و هذا ما نستشفه من خلال ما نص علبه المؤرخ الروماني – سالوست –

الخلاصة:

إن ما نستنتجه من خلال هذه المقاربة الأولية، أن طول رقعة المغرب القديم و امتدادها شمالا و جنوبا، شرقا و غربا، قد كانت منذ فجر التاريخ محل أنظار شعوب، امتلكت و صنعت التاريخ ، فأشركتها في مصيرها حتى فيما يتعلق بالبناء الحضاري، إذ نجد سكان المغرب القديم يتفاعلون حضاريا في كل مرة مع العنصر الأجنبي .

ورغم هذا التفاعل، فان ثمة من سمات و مميزات ثقافية واضحة عند سكان المغرب القديم رغم تنوع أصولهم و شخصيتهم ، فتارة محاربون و تارة أخرى مسالمون، فأنهم في جميع الأحوال مندمجين مع لحظات التاريخ.